

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

امعان النظر فى فواتح السور

عيادة بن أيوب الكبيسى

الحمد لله خالق القوى والقدر، منزل الآيات والسور، على قلب عبده ورسوله خير البشر، أفضل من صلى وصام وحج واعتمر، وجعل ذاك المنزل قرآنا عربيا غير ذى عوج، حير العقول وبهر، وتحدى العقلاء - جميعا - أن يأتوا بمثله، بل بمثل عشر سور، بل بمثل سورة واحدة و ان تناهت فى القصر، فوقفوا عاجزين، وصمتوا مشدوهين، ومن قال شيئا - كمسيلمة الكذاب - كان ما جاء به أضحوكة تقال فى المجالس للندر، فأين أين الثرى من الثريا، وأين أين المدر من الدرر؟ اللهم فصلّ وسلم وبارك على من خصصته بهذا الكتاب العظيم، النبىّ المصطفى الرؤوف الرحيم، سيّد ولد مضر، بل سيد الخلائق والبشر، وعلى آله وأصحابه السادات الغرر، وأنصاره وأحبابه، ومن سار على نهجهم مقتفيا للأثر، عدّ قطر الندى، والرمل والحصا، وعدّ ذرات المدر.

وبعد :

فإنّ مما شغل الأفكار والأذهان ، على مرّ العصور وتعاقب الأزمان ، ما أنزله الله تبارك وتعالى ، فى مفتتح بعض سور القرآن ، من الحروف المقطعة مثل : ,,الم,, ، وألر، وطه ، ويسن، وكهيعص وق، ون، والحواميم، ونحو ذلك من آى الذكر الحكيم .

هل هى - يا ترى - من السرّ المكتوم ، والعلم المحجوب الذى لا يمكن للفهم حوله أن يحوم، وأنه مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خليقته ، وحاطه بسياج منيع ، فلم يكشف لأحد عن حقيقته ، أو أنها مما يمكن أن تقف على معناها العقول ، ويدرك المراد منها العلماء الفحول ؟

فأردنا أن ندلى بدلونا المتواضع فى هذا الباب ، ونلقى الضوء ونمعن النظر فيما سطره فى ذلك علماؤنا ذوو الالباب ، والله - وحده - الموفق والهادى الى طريق الحق والصواب .

والصلاة والسلام الأتمان الاكملان ، على خير خلق الله سيدنا النبى المصطفى العدنان ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان .
فنقول وبالله التوفيق ، وهو - وحده - المستعان :

بسم الله الرحمن الرحيم

ماهى فواتح السور ؟

هى حروف مقطعة ، آيات أو أبعاض آيات من كلام الله تبارك وتعالى جعلها مفتحا لبعض سور كتابه الكريم ، وقد بلغ مجموع هذه الحروف . - بحذف المكرر منها - أربعة عشر حرفا وهى :

الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون .

وهي نصف حروف الهجاء ، وقد تفرقت في تسع وعشرين سورة ،

والمبدوء بالألف واللام منها ثلاثة عشر وهي :

البقرة ، و آل عمران ، والأعراف ، ويونس ، وهود، ويوسف،

والرعد، وإبراهيم ، والحجر ، والعنكبوت والروم ولقمان ، والسجدة .

وبالحاء والميم سبعة وهي :

غافر، وفصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية، والأحقاف.

وبالطاء أربعة ، وهي :

طه ، والشعراء ، والنحل ، والقصص .

وبالكاف واحدة ، وهي : سورة مريم .

وبالياء واحدة ، وهي : سورة يس .

وبالصاد واحدة ، وهي : سورة ص .

وبالقاف واحدة، وهي : سورة ق .

وبالنون واحدة ، وهي : سورة القلم .

وجمعها بعضهم بقوله : ,,نص حكيم قاطع له سرّ ,, (١) .

وقد جاءت هذه الحروف مختلفة الأعداد ، فبعضها أحادي، أي

جاء على حرف واحد وهي : ,,ص ، ق، ن,, وبعضها ثنائي، أي جاء

على حرفين وهي : ,,طه ، طس، يس، حم,, ، وبعضها ثلاثي ، أي

جاء على ثلاثة أحرف ، وهي : ,,الم، والر، وطسم,, وبعضها رباعي ، أي

جاء على أربعة أحرف وهي : ,,المص، والمر، وبعضها خماسي ، أي

جاء على خمسة أحرف ، وهي : ,,كهيعص ، وحم عسق,, .

والسبب في ذلك - كما يقول الامام الرازي - هو أن أبنية كلماتهم

- أي العرب - على حرف وحرفين الى خمسة أحرف فقط فكذا ههنا(٢).

ما معنى هذه الحروف ؟ :

مما لا ريب فيه أنه ما من حرف في كتاب الله تعالى ، ولا كلمة من كلماته الا وله معان عميقة ، وأسرار دقيقة ، وأن العلماء لم يزالوا ينهلون من بحر هذا الكتاب العظيم الذى لا ساحل له، وأنه كلما امتدت الحياة بالناس ، ومضت عصور وجاءت عصور ، طالعنا تفاسير جديدة ، تكشف عن أسرار الكتاب العزيز ، وتظهر مكنون ما أودع الله تبارك وتعالى فيه من العلوم والمعارف المتنوعة ، مما أدهش العقول ، وحيّر الألباب ، وكان سببا فى دخول الكثيرين من رجالات العلم، من طب وفلك وهندسة وفلسفة وفضاء ونحو ذلك. فى دين الله الحق ، وشهادتهم بأن هذا القرآن حقّ وأنه من عند الله وحده لا شريك له . ولا يخفى على طلبة العلم الشريف فى هذا العصر ما تؤدّيه أبحاث الإعجاز العلمى فى القرآن من خدمة جلّى فى هذا المضمّار (٣) .

ومن ظنّ أن فى كتاب الله تبارك وتعالى شيئا زائدا لامعنى له، فقد أخطأ كلّ الخطأ - كما يقول الامام الطبرى - (٤) .

ولكن هل يشترط أن تكون تلك المعانى معلومة للناس ، وأنه لا يجوز أن يكون فى الكتاب الكريم شىء غير مفهوم للخلق ، ولا معلوم عندهم ؟ وهل معانى الحروف المقطعة من هذا القبيل ؟ هذا ما نريد أن نلقى الضوء عليه، فى هذا البحث - ومن الله التوفيق - .

آراء العلماء فى الحروف المقطعة :

اختلف العلماء - رحمهم الله تعالى - ازاء معانى الحروف المقطعة

الى فريقين .

الفريق الأول : يرى أن هذه الحروف هى من العلوم المستورة ، والأسرار المكتومة ، التى لا سبيل الى العلم بها، وأنها من المتشابهة

الذى استأثر الله تبارك وتعالى بعلمه، واختصّ بمعرفته دون خلقه ،
 وممن ذهب الى ذلك من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وعليهم - : أبو بكر و عمر و عثمان و على ، و عبد الله بن مسعود (٥) -
 رضى الله عنهم أجمعين - ومن التابعين والمحدثين : عامر الشعبي (٦)
 وأبو صالح و ابن زيد و سفيان الثورى والربيع بن خيثم ، واختاره أبو
 حاتم بن حبان - كما ذكره الامام القرطبي فى تفسيره (٧) .
 فعن سيدنا الصديق - رضى الله عنه - أنه قال : لله فى كلّ كتاب
 سرّ، وسرّه فى القرآن أوائل السور .

وعن سيدنا عمر و عثمان وابن مسعود - رضى الله عنهم - أنهم
 قالوا : الحروف المقطعة من المكتوم الذى لا يفسّر .
 وعن سيدنا على - كرم الله وجهه - أنه قال : انّ لكلّ كتاب
 صفوة ، و صفوة هذا الكتاب حروف التهجى (٨) .
 وقال أبو حاتم : لم نجد الحروف المقطعة فى القرآن الا فى أوائل
 السور ، ولا ندري ما أراد الله جلّ وعزّ - بها .

وعن الربيع بن خيثم قال : انّ الله تعالى أنزل هذا القرآن، فأستأثر
 منه بعلم ما شاء و أطلعكم على ما شاء، فأما ما استأثر به لنفسه
 فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه، و أما الذى أطلعكم عليه فهو الذى
 تسألون عنه وتخبرون به، وما بكلّ القرآن تعلمون ، ولا بكلّ ما تعلمون
 تعملون .

قال أبو بكر بن أبى طالب - أحد الرواة عن الربيع :
 فهذا يوضح أنّ حروفا من القرآن سترت معانيها عن جميع العالم،
 اختياراً من الله - عزوجل - وامتحاناً، فمن آمن بها أثيب وسعد، ومن
 كفر وشكّ أثم وبعد .

وأخرج ابن المنذر عن الشعبي : أنه سئل عن فواتح السور فقال

انّ لكل كتاب سرّاً ، و انّ سرّ هذا القرآن فواتح السور . وفي رواية أنه قال : سرّ الله فلا تطلبوه .

وروى ابن ظبيان عن ابن عباس (٩) - رضى الله عنهما - قال : عجزت العلماء عن ادراكها، وقال الحسين بن الفضل : هو من المتشابه (١٠) الذي لا يعلمه الا الله .

الاعتراض على هذا القول

ومع جلاله القائلين بهذا القول ، وعظم قدرهم وعلو مكانتهم - من صحابة وتابعين رضى الله عنهم - ، فقد اعترض عليهم علماء آخرون بوجوه ، أهمها اثنان :

- (١) أنه لا يجوز أن يخاطب الله تعالى عباده بما لا يفهمون معناه ، و أنه لو ورد شيء لا سبيل إلى العلم به لكانت المخاطبة به تجرى مجرى مخاطبة العربي باللغة الزنجية، ولما لم يجز ذاك فكذا هذا .
- (٢) انّ الله تبارك وتعالى قد دعا في كثير من آياته الكريمات ، وعلى لسان رسوله الأمين - صلى الله عليه وسلم - ، الى التدبر في القرآن والتفكير فيه والاستنباط منه والتمسك به ، وبيّن أنه هدى ورحمة ونور وبرهان ونحو ذلك .

كقوله تعالى : ,, أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها،، (١١) وكقوله تعالى : ,, ولورّدوه الى الرسول و الى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم،، (١٢) ، وقوله - جلت قدرته - : ,, يا أيّها الناس قد جاءكم موعظة من ربّكم وشفاء لما فى الصّدور وهدى ورحمة للمؤمنين ،، (١٣) وقوله تبارك وتعالى : ,, قد جاءكم برهان من ربّكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا ،، (١٤) . وغير ذلك من الآيات الكريمات المنوّهة بمكانة هذا الكتاب العظيم ، ورفعته وعظيم شرفه ، وأنه كتاب هداية وارشاد ، أنزله الله تبارك وتعالى لانقاذ البشرية

واسعادها ، فمن أراد أن يكتشف أسراره ، ويهتدى بأنواره ، فليكثر من تدبّره وامعان النظر فيه .

وكقول رسوله الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم - :
(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه) (١٥) - صلى الله عليه وسلّم - .

فكيف يكون - هذا الكتاب العظيم - هكذا وهو غير مفهوم ؟ وكيف يمكن التمسّك به وهو غير معلوم ؟ (١٦) .

جواب هذا الاعتراض :

وقد أجيب عن الاعتراض الأول - وهو : أنه لا يجوز أن يخاطب الله تعالى عباده بما لا يفهمون معناه - بأن ذلك جائز غير ممتنع ، ومما يدلّ على ذلك أنّ الأفعال التي كلّفنا الله تعالى بها على قسمين : منها ما نعرف وجه الحكمة فيها على الجملة بعقولنا ، كالصلاة والزكاة والصوم ، فإن الصلاة تواضع محض ، وتضرع للخالق ، والزكاة سعى فى دفع حاجة الفقير ، والصوم سعى فى كسر الشهوة ، ومنها ما لا نعرف وجه الحكمة فيه ، كأفعال الحج فإننا لانعرف بعقولنا وجه الحكمة فى رمى الجمرات ، والسعى بين الصفا والمروة ، والرمل (١٧) ، و الاضطباع (١٨) . ونحو ذلك .

فاذا جاز أن يكلف الله تبارك وتعالى عباده بما لا يعقلون معناه من الأفعال ، فلم لا يجوز أن يكون الأمر كذلك فى الأقوال ، وهو أن يأمرنا الله تبارك وتعالى تارة أن نتكلم بما نقف على معناه ، وتارة بما لانقف على معناه ؟

ووجه الحكمة فى الأمرين : هو كمال الانقياد والطاعة ، ونهاية التسليم من المأمور للأمر - جلّ جلاله - ، لأنه لما لم يعرف فيه وجه مصلحة البتة ، لم يكن اتيانه به الا لمحض الانقياد والتسليم (١٩) .

وأما الاعتراض الثانى - وهو أنّ الله تبارك وتعالى قد دعا فى كثير من آياته الكريّمات ، وعلى لسانه رسوله الأمين - صلى الله عليه وسلم - الى التدبر فى القرآن ... الخ - فقد أجيب عنه بأن ذلك لا ينافى وجود بعض الآيات التى اختصّ الله تبارك وتعالى بعلم المراد منها .

فإنّ هذا الكتاب العظيم ، الذى حوى بين دفتيه ما فيه صلاح الناس فى معاشهم ومعادهم ، لزاخر بالآيات المحكمات ، ذات الدلالات الباهرات الكفيلة لمن تدبرها و أمعن النظر فيها ، أن تقوده الى شاطئ الأمان ، وأن تكون له هدى وبرهانا ونورا يمنحه قوة الايمان ، ويجعله من أولى الفهم والعرفان . ثمّ انّ الدعوة الى التدبر والتفكر فى آيات هذا الكتاب الكريم ، مع وجود مثل هذه الفواتح فى ابتداء خطابه ، المحجوب علم المراد منها عن غيره تعالى ، و التى حيّرت عقول الراسخين فى العلم ، فاعترفوا بالعجز عن معرفة كنه حقيقتها ، أو تجلية أسرارها ، فقالوا مسلمين : ,, آمنا به كلّ من عند ربنا ، (٢٠) ، يجعل الخلق مشدودين الى هذا الكتاب ، مشغولين بالتفكر فيه ، صادقين فى الاقبال عليه ، متعلقة به قلوبهم ، متوجهة اليه أنظارهم ، مشغولة به أفكارهم ، ولا يزالون كذلك حتى تتحقّق فائدتهم ، وتتمّ سعادتهم ، ولباب التكليف كما يقول الامام الرازى - اشغال السرّ بذكر الله تعالى ، والتفكر فى كلامه ، فلا يبعد أن يعلم الله تعالى أن فى بقاء العبد ملتفت الذهن ، مشغول الخاطر بذلك أبدا ، مصلحة عظيمة له ، فيتعبده بذلك تحصيلاً لهذه المصلحة . (٢١)

الفريق الثانى :

وذهب فريق آخر من العلماء والمفسرين الى أنه لا يجوز أن يكون فى كتاب الله تعالى ما ليس مفهوماً للخلق ، وأنّ من الممكن معرفة

معانى هذه الحروف ، والوقوف على حقيقتها ، وأن لا مانع من البحث والتدبر والنظر لاستخراج تلك المعانى ، والوصول الى اكتشاف تلك الأسرار التى أودعها الله تبارك وتعالى فى هذه الفواتح .

وحيث لم يرد عن المعصوم - صلوات الله وسلامه عليه - فى تفسيرها شىء، وليس فى لغة العزب ما يمكن الاعتماد عليه فى تعيين المراد ، فقد كثرت الأقوال فى تلك المعانى وتشعبت ، وتعددت الآراء فى ذلك بل وتضاربت ، الى درجة أن منها ما لا يصح ذكره الا للتعريف والتحذير، وأنه من محض الهوى ، والتقوّل على الله - جلّ فى علاه - .

وقد نقل بعض الأئمة الكرام - كالطبرى والرازى والسيوطى - رحمهم الله تعالى - كثيرا من الاقوال ، حتى ان الامام السيوطى تتبع ذلك الى أن قال : هذا آخر ما وقفت عليه من الأقوال فى أوائل السور من حيث الجملة (٢٢) . ولا نريد أن نذكر فى هذا البحث كل ما ورد فى ذلك ، بل سنكتفى بذكر بعض الأقوال التى فيها مجال للنقاش والنظر، وقد اخترنا من ذلك ستة أقوال ، نرى انها أهم ما قيل فى بيان معانى هذه الحروف الكريمة - والله اعلم .

أهم ما قيل فى معانى هذه الحروف :

بعد الوقوف على أقوال العلماء والمفسرين - رحمهم الله تعالى - فى تفسيرهم لهذه الحروف الكريمة ، وتقليب النظر فى آرائهم فى معانيها، يمكن أن نختار من ذلك أهمها ، وهى كالاتى :

القول الأول :

انها أسماء للسور المفتحة بها، وهذا القول هو المختار عند أكثر المحققين ، و اليه ذهب الخليل وسيبويه . (٢٣) .

وقد أخرج ابن جرير الطبرى عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن

أبيه فى قول الله تعالى : ,,المّ ذلك الكتاب,, و ,,المّ تنزيل,, و ,,الرّ
تلك,, قال : انما هى أسماء السور (٢٤).

ويستدلّ لهذا القول بما ورد فى حديث الصحيحين عن أبى هريرة
- رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كان يقرأ فى
صلاة الصبح يوم الجمعة ,,الم السجدة,, و ,,هل أتى على الانسان,, (٢٥)
الاعتراض على هذا القول :

واعترض على هذا القول بأنه غير سديد لأننا وجدنا السور الكثيرة
اتفقت فى ,,الم,, و ,,لحمّ,, و ,,الرّ,, وانما تكون الأسماء أمارات اذا
كانت مميّزة بين الأشخاص ، فاما اذا كانت غير مميّزة فليست أمارات ،
اذ المقصود من اسم العلم ازالة الاشتباه، والاشتباه فى هذه السور
حاصل (٢٦).

فلا بدّ اذاً من ضمّ شىء اليه ليفيد التعيين ويزيل الاشتباه ، وحيثند
لا تكون هذه الحروف بنفسها اسما للسورة ولكن مع ما انضمّ اليها، و
على هذا تحمل التسمية فى الحديث الشريف ، اذ هى بمجموع :
,,الم السجدة,, ، وليس ,,الم,, وحدها ، (٢٧).

وأيضاً : فلو كانت هذه الحروف أسماء للسور لوجب أن يعلم ذلك
بالتواتر ، لأنّ هذه الاسماء ليست على قوانين أسماء العرب - كما يقول
الامام الرازى - و الأمور العجيبة تتوفر الدواعى على نقلها لاسيما فيما
لايتعلّق باخفائه رغبة أو رهبة ، ولو توفرت الدواعى على نقلها لصار
ذلك معلوما بالتواتر وارتفع الخلاف فيه ، فلما لم يكن الأمر كذلك
علمنا أنها ليست من أسماء السور (٢٨).

القول الثانى :

انها حروف مقطعة من أسماء وأفعال ، كلّ حرف من ذلك لمعنى
غير معنى الحرف الآخر .

فقد أخرج ابن جرير الطبرى وابن أبى حاتم الرازى - رحمهما
الله تعالى فى ذلك جملة من الآثار عن بعض الصحابة والتابعين -
رضى الله عنهم أجمعين - .

أ - فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال :

- ,,ألم" : أنا الله أعلم (٢٩) وكذا فسره سعيد بن جبير
والضحاك (٣٠) .

ب - وعنه وعن ابن مسعود وعن جماعة من الصحابة - رضى الله
عنهم - قالوا :

- ,,ألم" : حرف أشقّ من حروف هجاء أسماء الله - جلّ ثناؤه
(٣١) .

ج - عن ابن عباس - رضى الله عنهما :

- ,,ألم" ، و ,,لحم" ، و ,,ن" قال : اسم مقطّع .

د - وعنه - أيضا - : ,,ألم" : حروف الرحمن مقطعة (٣٢) .

هـ - وعن عامر الشعبي أنه سئل عن ,,ألم" ، و ,,الر" ، و ,,حم" ، و
,,ص" قال : هى اسم من أسماء الله مقطعة بالهجاء ، فاذا
وصلتها كانت اسما من أسماء الله (٣٣) .

ومثل هذا يقال فى بقية الحروف مثل : ,,كهليعص" ، فقد

أخرج الحاكم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - :

الكاف من كريم ، والهاء من هاد ، والياء من حكيم ، والعين من
عليم والصاد من صادق (٣٤) ، وأخرج عنه - أيضا - فى تفسير هذه الآية ،
قال : كاف هاد أمين عزيز صادق (٣٥) وهكذا .

وممّن اختار هذا القول - مبيّنا أن العرب قد تكلمت بمثل ذلك -

الزجاج حيث قال :

أذهب الى أن كلّ حرف منها يودى عن معنى ، وقد تكلمت العرب

بالحروف المقطعة نظما لها ووضعها بدل الكلمات التي الحروف منها
(٣٦) . وفى توجيه هذا القول يقول الامام الطبرى - رحمه الله - :

وأما الذين قالوا : ذلك حروف مقطعة بعضها من أسماء الله عزوجل، وبعضها من صفاته ، ولكل حرف من ذلك معنى غير معنى الحرف الآخر ، فانهم نحووا بتأويلهم نحو قول الشاعر :

قلنا لها : قفى لنا ، قالت : قاف لاتحسبى أنا نسينا الايجاف (٣٧) .

يعنى بقوله : ,,قالت : قاف ، قالت قد وقفت ، فدللت باظهار القاف من وقفت على مرادها من تمام الكلمة التي هي وقفت ، فصرفوا قوله : ,,الم ، وما أشبه ذلك الى نحو هذا المعنى .

فقال بعضهم : الألف ألف ,,أنا ، واللام لام ,,الله ، والميم ميم ,,أعلم ، ، وكل حرف منها دال على كلمة تامة ، قالوا : فجملة هذه الحروف المقطعة اذا ظهر مع كل حرف منهن تمام حروف الكلمة ,,أنا الله أعلم ، ، قالوا : وكذلك سائر جميع ما فى أوائل سور القرآن من ذلك .

فعلى هذا المعنى وبهذا التأويل ، قالوا : ومستفيض ظاهر فى كلام العرب أن ينقص المتكلم منهم من الكلمة الأحرف ، اذا كان فيما بقى دلالة على ما حذف منها - ويزيد فيها ما ليس منها ، اذا لم تكن الزيادة ملبسة معناها على سامعها - كحذفهم فى النقص فى الترخيم من ,,حارث ، الثاء ، فيقولون : يا حار ، ومن مالک الكاف ، فيقولون : يا مال ، وما أشبه ذلك ، وكقول راجزهم :

ماللظليم عال ؟ كيف لا يا ينقدّ عنه جلده اذا يا (٣٨) كأنه أراد أن يقول : اذا يفعل كذا وكذا ، فاكتفى بالياء من ,,يفعل ، ، وكما قال آخر منهم :

بالخير خيرات وان شرافا .

يريد : فشرا .

ولا أزيد الشرّ الا أن تا (٣٩).

يريد : الا أن تشاء، فأكتفى بالتاء والفاء فى الكلمتين جميعا من سائر حروفها ، وما أشبه ذلك من الشواهد التى يطول الكتاب باستيعابه . وأخرج ابن جرير أثرا عن محمد بن سيرين قال : لما مات يزيد بن معاوية قال لى عبدة: انى لا أراها الا كائنة فتنة ، فافزع من ضيعتك والحق بأهلك ، قلت : فما تأمرنى ؟ قال : أحبّ الىّ لك أن تا - قال أيوب وابن عون بيده تحت خده الأيمن يصف الاضطجاع - حتى ترى أمرا تعرفه - قال ابن جرير : يعنى ب ,,تا، تضطجع ، فأجتزأ بالتاء من تضطجع . وساق بعض الشواهد ثم قال :

قالوا : فكذلك مانقص من تمام حروف كلّ كلمة من هذه الكلمات التى ذكرنا أنها تتمّة حروف ,,الم ، ونظائرها ، نظير مانقص من الكلام الذى حكيناه عن العرب فى أشعارها وكلامها (٤٠) .
الاعتراض على هذا القول :

ويردّ على هذا القول بأن ماذكر من أشعار وكلام العرب من الاكتفاء بجزء الكلمة عن بقيتها انما يصحّ حين يكون فى السياق مايدلّ على المحذوف .

وقد جاء ذلك فى كلام الطبرى المتقدم بقول : اذا كان فيما بقى دلالة على ما حذف منها .

وليس فى الاكتفاء بهذه الحروف مايدلّ على بقية المحذوف - والله اعلم - .

القول الثالث :

انها دالة على المدد ، وهو مايعرف بحساب أبى جاد ، أو حساب الجمل . ومستند من ذهب الى ذلك :

ما أخرجه محمد بن اسحاق بن يسار عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال : مرّ أبو ياسر بن أخطب برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يتلو فاتحة سورة البقرة : ,, ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ,, ، فأتى أخاه حيي بن أخطب من يهود فقال : تعلمون - والله - ، لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله - عز وجل - عليه - : ,, ألم ذلك الكتاب ,, ، فقالوا : أنت سمعته ؟ قال نعم ! قال : فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من يهود الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقالوا : يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك ,, ألم ذلك الكتاب ,, ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : بلى ، فقالوا : أجاك بهذا جبريل من عند الله ؟ قال : نعم ، قالوا : لقد بعث الله - جلّ ثناؤه - قبلك أنبياء ، ما علمه بين نبيّ منهم ، ما مدة ملكه ، وما أكل أمته غيرك ، فقال حيي بن أخطب - وأقبل على من كان معه فقال لهم - : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى و سبعون سنة ، أفدخلون في دين نبي انما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ قال : ثم أقبل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قال : ماذا ؟ قال : ,, المص ,, ، قال : هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه مائة وأحدى وستون سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم ، قال : ماذا ؟ قال : ,, ألر ,, ، قال : هذه - والله - أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومئتا سنة ، فقال : هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم ، ,, المر ,, ، قال : فهذه - والله - أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة ، ثمّ قال : لقد لبّس علينا أمرك يا محمد حتى ما

ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حييَّ ابن أخطب ، ولمن معه من الأخبار : ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد ، احدى وسبعون ، واحدى وثلاثون ، ومثتان واحدى وسبعون ، فذلك سبعمائة سنة وأربع وثلاثون ،

فقالوا : لقد تشابه علينا أمره ، فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ، هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهاً ، ، (٤١) .

ردّ هذا القول :

وهذا القول مردود ، لأن مداره على محمد بن السائب الكلبي ، وهو متهم بالكذب ، وقد صرح هو بنفسه عن ذلك فعن أبي عاصم النبيل قال : زعم لى سفيان الثوري قال : قال لنا الكلبي : ما حدثت عنى عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا تروه .

وقال أبو حاتم الرازى : الناس مجتمعون على ترك حديثه ، لا يشتغل به ، هو ذاهب الحديث ، وقال ابن حبان : مذهبه فى الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج الى الاغراق فى وصفه ، يروى عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير ، و أبو صالح لم ير ابن عباس ، ولا سمع الكلبي من أبي صالح الا الحرف بعد الحرف ، فلما احتجج اليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها ، لا يحل ذكره فى الكتب ، فكيف الاحتجاج به ؟ (٤٢) .

وممن ردّ هذا القول واستنكره الحافظ ابن كثير ، حيث قال :

وأما من زعم أنها - أى الحروف المقطعة - دالة على معرفة المدد ، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم ، فقد ادعى ما ليس له ، وطار فى غير مطاره ، وقد ورد فى ذلك حديث ضعيف ، وهو مع ذلك أدلّ على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته .

وقال - أيضا - بعد أن نقل هذا الحديث : فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي ، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ، ثم كان مقتضى هذا المسلك - ان كان صحيحا - أن يحسب مالكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها ، وذلك يبلغ جملة كثيرة ، وان حسبت مع التكرار فاطمّ وأعظم (٤٣) .

والحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - حيث قال :

وهذا باطل لا يعتمد عليه ، فقد ثبت عن ابن عباس - رضى الله عنه - الزجر عن عدّ أبي جاد ، والاشارة الى أن ذلك من جملة السحر ، وليس ذلك ببعيد فانه لا أصل له فى الشريعة (٤٤) .

ومما يدل على ضعف هذا الحديث نكارة متنه اذ فيه سكوت النبىّ - صلى الله عليه وسلم - وتقديره لما زعمه اليهود من تحديد عمر هذه الأمة المحمدية ، فكيف يسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على مزاعمهم ، وفيها تشييط للهمم ، وصدّ عن سبيل الله ، باعلان قصر مدة الرسالة ، وتحديد عمر أتباعها بمدة وجيزة من الزمن ؟! ثمّ هو مخالف للواقع حيث انّ الأمة لازالت حية صامدة ، والدين لم يزل - بحمد الله - محفوظا بكتاب الله وسنة نبيه - عليه الصلاة والسلام - ، وستبقى الامّة ويبقى الدين الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وأما ما روى عن أبي العالية فى قوله تعالى : ,,ألم,, حيث قال : هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا ، دارت فيها الألسن كلها ، ليس منها حرف الا وهو مفتاح اسم من أسمائه ، وليس منها حرف الا وهو فى آلائه وبلائه ، وليس منها حرف الا وهو فى مدّة أقوام وآجالهم (٤٥) .

فهو - أيضا - حديث ضعيف ، لأنه من رواية أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس ، وهى مضطربة ، ومتنه لا يخلو من بعض الألفاظ المنكرة .

ويقال فيه ما قيل في الحديث السابق - والله أعلم - .

القول الرابع :

انّ الله تعالى انما ذكر هذه الحروف احتجاجا على الكفار ، وذلك انّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة واحدة من مثله ، فعجزوا عن ذلك ، أنزل الله تعالى هذه الحروف تنبيها على أن القرآن الكريم ليس الا من هذه الحروف التي تعرفونها ، وأنتم قادرون عليها ، وعارفون بقوانين الفصاحة ، فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن ، فلما عجزتم عنه دلّ ذلك على أنه من عند الله ، لا من عند أحد من البشر .

وقد ذهب الى هذا القول المبرّد ، واختاره جمع عظيم من المحققين ، واليه ذهب ابن تيمية وأبو الحجاج الحافظ المزى وابن كثير ، واختاره من المتأخرين سيد قطب - رحمهم الله جميعا (٤٦) .

وممن حكى هذا القول وانتصر له الامام الزمخشري فقال - بعد أن ذكره - : وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ، ثم ذكر سبب تفرّق هذه الحروف في الكتاب العزيز و تكررها فقال : ولم ترد كلّها مجموعة في أول القرآن ، وانما كررت ليكون أبلغ في التحدى والتبكيك ، كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدى بالصريح في أماكن (٤٧) .

وحجة الذاهبيين الى هذا القول : أنه قد ورد ذكر الكتاب العزيز بعد هذه الحروف ، والتحدث عن اعجازه ووصفه وبيان مكانته ، وذلك في غالب السور المفتحة بهذه الحروف ، كقوله تعالى :

«ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » (٤٨) ، وقوله

تعالى : «ألم الله لا اله الا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق (٤٩) وقوله تعالى : «ألمصّ . كتاب أنزل اليك فلا يكن في

صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ، (٥٠) وقوله تعالى :
 ,,ألر تلك آيات الكتاب الحكيم,,(٥١). وقوله تعالى : ,,ألر كتاب
 أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير,,(٥٢) . وهكذا فى بقية
 السور الكريمة .

وأما بعض السور التى لم يرد فيها ذكر الكتاب العزيز بعد هذه
 الحروف مثل سور مريم والعنكبوت والروم ون ، فإن القارئ المتمعن
 لتلك السور الكريمة يجد أنها قد اشتملت على ما يتعلّق باثبات
 الوحي والنبوة (٥٣) .

نقد هذا القول :

ومع وجاهة هذا القول ، وكثرة القائلين به المرجحين له والمعجبين
 فيه ، فقد تصدّى له الامام الشوكانى بالنقد الشديد، وذلك بعد أن نقل
 تفصيل الامام الزمخشري وتحقيقه الدقيق فى أن هذه الحروف قد
 اشتملت على النصف من جميع الحروف التى تركبت لغة العرب منها ،
 وذلك النصف مشتمل على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة
 بتلك الأوصاف كقوله : انّ فيها من المهموسة نصفها ، ومن
 المجهورة نصفها، ومن الرخوة نصفها ، وكذا من المطبقة والمنفتحة
 والمستعلية والمنخفضة ، وكذا حروف القلقلة ... الخ .

حيث قال الامام الشوكانى بعد أن نقل هذا التحقيق والتدقيق :
 وأقول : هذا التدقيق لا يأتى بفائدة يعتدّ بها ، وبيانه : أنه اذا كان
 المراد منه الزام الحجة والتبكييت كما قال ، فهذا متيسّر بأن يقال لهم :
 هذا القرآن هو من الحروف التى تتكلمون بها ليس هو من حروف
 مغايرة لها ، فيكون هذا تبكييتا والزاما يفهمه كلّ سامع منهم، من دون
 الغاز وتعمية وتفريق لهذه فى فواتح تسع وعشرين سورة ، فإنّ هذا مع
 ما فيه من التطويل الذى لا يستوفيه سامعه الا بسماع جميع هذه الفواتح،

هو أيضا ممّا لا يفهمه أحد من السامعين ، ولا يتعقل شيئا منه فضلا عن أن يكون تبكيئا له والزاما للحجة أيا كان ، فان ذلك هو أمر وراء الفهم مترتب عليه ولم يفهم السامع هذا ، ولا ذكر أهل العلم عن فرد من أفراد الجاهلية الذين وقع التحدى لهم بالقرآن أنه بلغ فهمه الى بعض هذا فضلا عن كله .

ثمّ كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التي تركبت لغة العرب منها ، وذلك النصف مشتمل على أنصاف تلك الانواع من الحروف المتصفة بتلك الاوصاف هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلي ولا اسلامي ولا مقرّر ولا منكر ولا مسلم ولا معارض ، ولا يصحّ أن يكون مقصدا من مقاصد الربّ سبحانه ، الذي أنزل كتابه للارشاد الى شرائعه والهداية به .

وهب أن هذه صناعة عجيبة ونكتة غريبة ، فليس ذلك مما يتصف بفصاحة ولا بلاغة حتى يكون مفيدا أنه كلام بليغ أو فصيح، وذلك لانّ هذه الحروف الواقعة فى الفواتح ليست من جنس كلام العرب حتى يتصف بهذين الوصفين ، وغاية ما هناك أنها من جنس حروف كلامهم، ولا مدخل لذلك فيما ذكر ، وأيضا لو فرض أنها كلمات مترتبة بتقدير شيء قبلها أو بعدها لم يصحّ وصفها بذلك ، لأنها تعمية غير مفهومة للسامع الا أن يأتي من يريد بيانها بمثل ما يأتي به من أراد بيان الألفاظ والتعمية ، وليس ذلك من الفصاحة والبلاغة فى ورد ولا صدر ، بل من عكسهما وضدّ رسمهما (٥٤) .

القول الخامس :

انها تنبيهات ، فانّ الكفار لما قالوا : ,,لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ,, (٥٥) ، وتواصوا بالاعراض عنه ، أراد الله تعالى لما أحبّ من صلاحهم ونفعهم أن يورد عليهم ما لا يعرفونه

ليكون ذلك سببا لاسكاتهم واستماعهم لما يرد عليهم من القرآن ،
فأنزل الله تعالى عليهم هذه الحروف ، فكانوا اذا سمعوها قالوا
كالمتعجبين : اسمعوا الى مايجيء به محمد - صلى الله عليه وسلم -
فاذا أصغوا هجم عليهم القرآن ، فكان ذلك سببا لاستماعهم ، وطريقا
الى انتفاعهم . والى هذا ذهب أبو روق وقطرب (٥٦).

وممن انتصر له وارتضاه - السيد رشيد رضا - رحمه الله - حيث قال:
من حسن البيان وبلاغة التعبير التي غايتها افهام المراد مع
الاقناع والتأثير أن ينبه المتكلم المخاطب الى مهمات كلامه والمقاصد
الأولى بها ، ويحرص على أن يحيط علمه بما يريدده هو منها ،
ويجتهد في انزالها من نفسه في أفضل منازلها ، ومن ذلك التنبيه لها
قبل البدء بها، لكيلا يفوته شيء منها ، وقد جعلت العرب منه هاء
التنبيه وأداة الاستفتاح . فأى غرابة في أن يزيد عليها القرآن الذي بلغ
حدّ الاعجاز في البلاغة وحسن البيان ، ويجب أن يكون الامام
المقتدى ، كما أنه هو الامام في الاصلاح والهدى؟؟ (٥٧).

وانتصر له أيضا الدكتور صبحي الصالح فقال :

وانّ انطباق هذه الحكمة على الواقع النفسى لمن كان القرآن
موجّهها اليهم حين نزول الوحي ، لايزيدنا الا استمساكا بهذا الرأى،
ولأمر ما افتتحت جميع السور التي في أولها حروف مقطعة بذكر
الكتاب أو معان تتعلق بالوحي والنبوة، ومن المعلوم ان هذه السور كلّها
مكيّة الا البقرة و آل عمران ، فاما المكية فلدعوة المشركين الى اثبات
النبوة والوحي ، وأما الزهراوان المدنيتان فلمجادلة أهل الكتاب بالتي
هى أحسن .

وكانت تلك الفواتح كفيلا بتنبيه هؤلاء وأولئك الى ما كان يلقى

عليهم حتى لا يفوتهم شيء (٥٨) .

وممن ارتضى هذا القول الامام الخوئي (٥٩)، الا أنه اعتبرها تنبيها للنبي - صلى الله عليه وسلم - عما عسى أن يكون أشغله من الأمور، فقال :

القول بأنها تنبيهات جيد، لأن القرآن كلام عزيز، وفوائده عزيزة؛ فينبغي أن يرد على سمع متنبه، فكان من الجائز أن يكون الله قد علم في بعض الأوقات كون النبي - صلى الله عليه وسلم - في عالم البشر مشغولا، فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله : ,,ألم، و ,,ألر، و ,,حم،، ، لسمع النبي - صلى الله عليه وسلم - صوت جبريل - عليه السلام - فيقبل عليه ويصغى اليه ، قال :

وانما لم يستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كالأ وأما ، لأنها من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم، والقرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ في قرع سمعه (٦٠) .

وهذا التعليل يقال - أيضا - في قول من ذهب الى أنها تنبيه للعرب المعرضين عن سماع القرآن ، فانه لو نبههم بما يعهدون من التنبيهات كالأ وأما ، لما كان في ذلك غرابة تسترعى انتباههم .
نقد هذا القول :

أنكر الامام السيوطي - رحمه الله تعالى - أن يكون هذا قولا مستقلا ، فقال - بعد أن ذكره - :

عدّ هذا جماعة قولا مستقلا، والظاهر خلافه ، وانما يصلح هذا مناسبة لبعض الأقوال ، لا قولا في معناها ، اذ ليس فيه بيان معنى (٦١) .

وقد ضعف الحافظ ابن كثير هذا القول ، معللا ذلك بقوله - رحمه الله - لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها ، بل غالبها ليس كذلك ، ولو كان كذلك - أيضا - لانبغي

الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك .
ثم إن هذه السورة والتي تليها - أعنى البقرة وآل عمران - مدنيتان
ليست خطابا للمشركين ، فانتقض ما ذكره من الوجوه (٦٢) .
وقد أجاب فضيلة الدكتور صبحي الصالح عن الفقرة الأخيرة من
كلام ابن كثير : بأن سورتي البقرة وآل عمران كانتا خطابا لليهود ،
فكانت هذه الفواتح سببا لاستماعهم واقبالهم ، وقال : وبنزولهما
مفتحتين بهذه الحروف المقطعة تمت الحكمة الالهية من تنبيه اليهود
الى الدعوة الجديدة ، واثارة اهتمامهم بها ، فلم يعد في استمرار
الافتتاح بتلك الحروف بعد الزهراوين حكمة ظاهرة باهرة ، ولذلك
نزل الوحي بعدهما خاليا من تلك الفواتح ، فلا ضرورة للتسليم بصحة
الاعتراض الذي وجهه ابن كثير في تفسيره الى هذا القول بسبب
مدنية البقرة و آل عمران ، وكونهما ليستا خطابا للمشركين ، لأن
الحكمة من تخصيص الزهراوين بهذه الفواتح تكون - على ما بيناه -
بالغة دامغة (٦٣) .

ثم إن اعتراض الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - لا يتجه الى
ما ارتضاه الامام الخويي ، لأنه جعلها تنبيها للنبي - صلى الله عليه
وسلم - في بعض الأحيان .

ولكني أقول - والله أعلم - :

انّ ما ذهب اليه الامام الخويي - رحمه الله تعالى - ضعيف وبعيد ،
وذلك لأنّ القرآن الكريم انما ينزل على قلب النبي - صلى الله عليه
وسلم - كما قال تعالى : ,,نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون
من المنذرين . بلسان عربي مبين ، (٦٤) ، وقلب النبي - صلى الله
عليه وسلم - لا ينشغل بشيء عن ربه - تبارك وتعالى - ولذا فإنّ عينيه
تنام وقلبه لا ينام ، عليه الصلاة والسلام .

وأيضاً : فإنّ هذه الفواتح قد جاءت كلّها فى مفتتح السور ، ومن المستبعد جداً أن يتفق انشغال النبى - صلى الله عليه وسلم - عندما يأتيه جبريل - عليه السلام - فى مطلع كلّ سورة (٦٥) .
القول السادس :

انها معجزة للنبيّ - صلى الله عليه وسلم - ، دالة على صدقه عليه الصلاة والسلام - ، وذلك :

انّ التكلم بهذه الحروف وان كان معتاداً لكلّ أحد ، الا أنّ كونها مسمّاة بهذه الاسماء لا يعرفه الا من اشتغل بالتعلم والاستفادة ، فلما أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عنها - بأن نطق باسم الحرف - من غير سبق تعلم وإستفادة ، اذ هو الأميّ الذى لا يقرأ ولا يكتب ، كان ذلك اخباراً عن الغيب ، وأنه ليس كغيره من الأميين ، وأنّ ماجاء به ،، ان هو الآ وحي يوحى ،، (٦٦) .

فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكرها ليكون أول ما يسمع من هذه السور معجزة دالة على صدقه - صلوات الله و سلامه عليه (٦٧) .
نظرة فى الأقوال الثلاثة الأخيرة :

وأنت ترى أنّ هذه الاقوال الثلاثة الأخيرة ليست فى بيان معانى هذه الحروف الكريمة ، حيث انها له تشر الى شىء من المعانى ، وانما سيقت لبيان سبب نزول هذه الحروف فى مفتتح السور ، وما ذكره الامام السيوطى - رحمه الله تعالى - فى نقد القول الأول منها ، ينسحب على القولين الآخرين ، اذهما ليس فى بيان معنى - كما هو الحال فى القول الأول - ويمكن ادراجها جميعاً فى قول واحد ، وهو :

انّ الله تبارك وتعالى أنزل هذه الحروف المقطعة تحديماً للكفار ، وتنبئها لهم ، ومعجزة لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ، لتكون سبباً فى هدايتهم ، ان هم تفكروا فيها ، حيث انّ القرآن كله منظوم من جنس

ما ينظمون منه كلامهم ، وقد عجزوا أن يأتوا بمثل أقصر سورة من سوره
الكريمات ، وأن الذى جاءهم بهذا الكتاب العظيم هو رجل منهم
يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وهو أمى لم يقرأ ولم يكتب - عليه الصلاة
والسلام .

ومما قيل فى معانى هذه الحروف :

انّ الأقوال الستة المتقدمة هى أهمّ ما قيل فى بيان معانى هذه
الفواتح الكريمة، وبهذا القدر كفاية فى توضيح مذهب القائلين بإمكان
معرفة معانى هذه الحروف ، وأنها ليست من العلم الذى استأثر الله به .
ولكن لا بدّ لنا من أن نمرّ سريعاً على بعض الأقوال والآراء
الأخرى لنرى كيف يؤدى فتح هذا الباب الى تضارب الأقوال
وتعارضها، بل إلى التقلّ على الله تعالى بغير علم فى كثير منها .

وقد توسّع الداهيون الى هذا القول، والمؤيدون له فى التحدث عن
أسرار هذه الفواتح ، وأدلى كلّ منهم بدلوه فى ذلك ، حتى انّ القضايا
العلمية والأمور الكونية قد أخذت نصيبها من ذلك . فذهب بعض
المفسرين الى أنّ هذه الحروف أنزلت لبيان التناسب بين النظام فى
العالم وفى الوحي ، ليعلم الناس أن هذا القرآن هو تنزيل من عند الله،
لأنه نظم حروفه على النمط الذى اختاره فى صنع المنازل والأجسام
الانسانية والأجسام الحيوانية ونظام الحروف الهجائية - ذكر ذلك
الشيخ طنطاوى جوهرى يبحث علمى دقيق - ثم قال :

فمن أين لبشر كمحمد - صلى الله عليه وسلم - أو غيره أن ينظم هذا
النظام ، ويجعل هذه الأعداد موافقة للنظام الذى وضعه الله ، والسنن
الذين رسمه ، والنهج الذى سلكه .

ان هذا القرآن تنزيل من الله ، وقد وضع هذه الحروف فى أوائل
السور ليستخرجوا منها ذلك ، فيعلموا ان الله ما خلق السموات

والأرض وما بينهما باطلا بل جعل النظام فى العالم وفى الوحي متناسبا، وهذا الكتاب سيبقى الى آخر الزمان ، ولغته ستبقى حية معه الى آخر الأجيال .. إن اللغات متغيرة، وليس فى العالم لغة تبقى غير متغيرة الا التى حافظ عليها دين ، وهل غير العربية حافظ عليها دين ؟ (٦٨) .

وللصوفية آراء وأفهام وأذواق فى معانى هذه الحروف، ومن المعلوم أن كلام الصوفية لا يعدّ تفسيرا لكتاب الله ، لانهم انما يعبرون عن أذواقهم ومواجيدهم (٦٩) .

وللشيعة ترتيب لهذه الحروف على طريقة عدّ أبى جاد، حيث استخراج بعضهم منها مايفيد أنّ : ,,على صراط حق نمسكه أو، صراط على حق نمسكه، ، فيقابلة بعض أهل السنة باستخراج مايفيد: ,,صحّ طريقك مع السنة ،، (٧٠)

وهكذا يمشى التوسع فى القول فى معانى هذه الحروف ، حتى ان أحدهم يقول :

,,ان الله تعالى علم أنّ طائفة من هذه الأمة تقول بقدم القرآن، فذكر هذه الحروف تنبيها على أنّ كلامه مؤلف من هذه الحروف ، فيجب أن لا يكون قديما ،، (٧١)

وللمستشرقين خوض فى استخراج معانى هذه الحروف ، فيذهب بعضهم الى أن المراد بقوله تعالى : ,,طسّم، الأحرف البارزة الغالبة فى قوله تعالى : ,,لا يمسه الاّ المطهرون ،، (٧٢) ، فالطاء هى الحرف البارز فى ,,المطهرون،، والسين والميم أقوى ما فى : ,,يمسه ،، .

وانّ أغرب ماورد فى هذا الباب وأبعده عن الصواب - كما يقول الدكتور صبحى الصالح - مذهب اليه المستشرق الألمانى نولدكه فى رأيه الأوّل الذى عدل عنه فيما بعد من الحكم بأنّ ، أوائل السور دخيلة

على نصّ القرآن!! ثم تبني فكرته هذه فيما بعد المستشرقان بهل وهر شفيدل، غافلين عن مدى بعدها عن المنطق السليم . (٧٣)
وهكذا تصدر التخرصات والتكهنات ، ويفشو التقوّل على الله تعالى بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير .

رأى الامام ابن جرير الطبرى (رحمه الله) :

وقبل أن ندخل فى ترجيح مانراه راجحا من هذين المذهبين -
مذهب المفوضين علمها الى الله تعالى ومذهب الخائضين فى بيان
معناها - نعرض رأى الامام ابن جرير الطبرى - رحمه الله تعالى - فى
هذه الفواتح ،

وابن جرير من الفريق الذى يرى أن لامانع من البحث والنظر فى
هذه الحروف للوقوف على معناها، ومعرفة مراد الله تعالى منها، ومذهبه
فى ذلك أن لامانع من تعدد الاقوال المستفادة فى استخراج معانى هذه
الحروف بشرط ألا يكون مستحيلا فى العقل وجه منها أن يكون تأويله
ومعناه - كما سيأتى فى كلامه - .

ولذا فقد نقل فى تفسيره آثاراً عديدة، وذكر وجوها كثيرة فيما
يتعلق ببيان معانى هذه الفواتح ، ثم شرع فى توجيه تلك الأقوال
والتوفيق بينها .. وبين أن لكل قول من الاقوال وجه معروف، وأن
الجمع ممكن ، اذ لا منافاة بينها، فهى أسماء للسور، ومن أسماء الله
تعالى يفتتح بها السور ، فكل حرف منها دال على اسم من أسمائه
وصفة من صفاته ، كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه ،
فقال - رحمه الله تعالى - :

فان قال لنا قائل : وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملا للدلالة
على معان كثيرة ؟

قيل : كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة

مختلفة ، كقولهم للجماعة من الناس : أمة (٧٤) ، وللحين من الزمان :
 أمة (٧٥) وللرجل المتعبد المطيع لله : أمة (٧٦) ، وللدين والملة : أمة (٧٧) .
 وكقولهم للجزاء والقصاص : دين ، وللسلطان والطاعة : دين ، وللتذلل
 : دين ، وللحساب : دين ، فى أشباه لذلك كثيرة يطول الكتاب
 باحصائها - مما يكون من الكلام بلفظ واحد ، وهو مشتمل على معان
 كثيرة - ، وكذلك قول الله جل ثناؤه : ,, ألم ,, و ,, ألر ,, و ,, ألمص ,, وما
 أشبه ذلك من حروف المعجم التى هى فواتح أوائل السور ، كلّ حرف
 منها دالّ على معان شتى ، شامل جميعها من أسماء الله عزوجل
 وصفاته ما قاله المفسّرون من الأقوال التى ذكرنا عنهم .

ثم دلّل على ما ذهب إليه بقوله رحمه الله تعالى :

لأن الله - جلّ ثناؤه - لو أراد بذلك ، أو بشيء منه الدلالة على
 معنى واحد مما يحتمله ذلك دون سائر المعانى غيره ، لأبان ذلك لهم
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إبانة غير مشكّلة ، إذ كان جلّ ثناؤه
 انما أنزل كتابه على رسوله - صلى الله عليه وسلم - ليبيّن لهم ما
 اختلفوا فيه ، وفى تركه - صلى الله عليه وسلم - إبانة ذلك - أنه مراد
 به من وجوه تأويله البعض دون البعض - أوضح الدليل على أنه مراد به
 جميع وجوهه التى هولها محتمل ، اذا لم يكن مستحيلا فى العقل وجه
 منها أن يكون من تأويله ومعناه ، كما كان غير مستحيل اجتماع
 المعانى الكثيرة للكلمة الواحدة بلفظ واحد فى كلام واحد (٧٨) . وقول
 ابن جرير - رحمه الله تعالى - : ,, إذا لم يكن مستحيلا فى العقل وجه
 منها ,, ... الخ يفيد : أنّ ما كان من ذلك مستحيلا فى العقل أن
 يكون من تأويله ومعناه لا يقبل ولا يلتفت إليه .

ولكنّ العجيب من ابن جرير - رحمه الله تعالى - أن يعدّ من جملة
 الأقوال المرضية قول من قال : انهنّ من حروف حساب الجمل (٧٩) .

وقد علمت أن هذا تأويل مستنكر، وأنه من رواية محمد بن السائب الكلبى وهو متهم بالكذب.
نظرة فى رأى ابن جرير :

ان قول ابن جرير - رحمه الله تعالى - : اذا لم يكن مستحيلا فى العقل وجه منها أن يكون من تأويله ومعناه ، لا يخلو من أن يراد به التفسير بمجرد الرأى ، أو التفسير بالرأى المحمود، أما الأول : فباطل، لأنه محض هوى، ودعوى بلا برهان ، فهو من التفسير بالرأى المذموم المنهى عنه، وأما الثانى : فيقال فيه : من أين لنا أن ندعى ذلك ، وليس معنا من اللغة أو نصوص الشرع ما يسعف وينجد ؟

وفى هذا يقول الامام فخر الدين الرازى - رحمه الله تعالى ، بعد أن نقل اقوالا كثيرة فى معانى هذه الحروف ، وانتصر لبعضها - :
وأما سائر الوجوه التى ذكرناها ، فقد بينا أن قولنا : ,,ألم، غير موضوع فى لغة العرب لافادة تلك المعانى ، فلا يجوز استعمالها فيه ، لان القرآن انما نزل بلغة العرب ، ولأنها متعارضة ، فليس حمل اللفظ على بعضها أولى من بعض .

ولو أنا فتحنا هذا الباب لانفتحت أبواب تأويلات الباطنية وسائر الهذيانات ، وذلك مما لاسبيل اليه (٨٠) .

والى مثل هذا ذهب الامام الشوكانى - رحمه الله تعالى - ، منكرًا أشدّ الانكار على من ادعى أن تفسيره لهذه الحروف راجع الى لغة العرب وعلومها، ونسبه الى الكذب البحت وقال : فانّ العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك ، واذا سمعه السامع منهم كان معدودا عنده من الرطانة (٨١) .

أقول : فما أصدق انطباق شرط ابن جرير وكلمة الفخر سائر الوجوه والأقوال وأن يدخلها فى عداد القائلين بتفويض علم هذه الفواتح الكريمة الى الله تعالى ! والله أعلم - .

القول الراجح :

وبعد هذا العرض المفصل لما جاء فى شأن هذه الحروف القرآنية الكريمة ، وذكر أقوال العلماء - رحمهم الله تعالى - فى ذلك ... نرى - والله أعلم - أنّ القول الراجح فى هذه المسألة ، والذى تطمأن له النفس ويتشرح به الصدر ، هو :

تفويض علمها الى الله تعالى ، وأنه - سبحانه - أعلم بمراده بها ، والذين يدعوننا الى ترجيح هذا القول أمور ، منها :

(١) ذهاب جمع من اجلاء الصحابة - رضى الله عنهم - الى ذلك ، فقد تقدم أنّ أبابكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود - رضى الله عنهم - قد فوضوا علم هذه الحروف الى الله تعالى ، وأنها من العلم الذى استأثر الله تبارك وتعالى به ، وكفى بهؤلاء الأختيار حجة .

(٢) ليست هناك ضرورة أو حاجة تدعو الى الخوض فى تفسير هذه الحروف ، ولو كان هناك شىء من ذلك لبيّنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للأمة ، فانه - صلوات الله وسلامه عليه - لم يدع شيئاً فيه منفعة الا وأرشد الأمة اليه ، وبيّنه لها أحسن بيان ، ولا شيئاً فيه مضرتها إلا ونهاها عنه ، وحذرنا منه .

فان قيل : ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يفسّر القرآن الكريم كلمة كلمة ، قلنا : هذا صحيح ، ولكنه - صلى الله عليه وسلم - فسّر ما تدعو اليه الحاجة ، وأجاب عما سأل عنه صحابته الكرام - رضى الله عنهم - مما أشكل عليهم فهمه من كتاب الله تعالى -

ولم ينقل عنه شىء من ذلك فى معانى هذه الحروف الكريمة ، فدلّ هذا على أنه ليس ثمة حاجة فى الوقوف على معانيها ، ولا ضرورة ملجئة الى الكشف عن أسرارها .

وما أجمل أن نتذكر فى مثل هذا الموطن ما رواه أنس بن مالك

عن سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - :
 انّ عمر - رضى الله عنه - قرأ على المنبر : ,,فأنبتنا فيها حبًا ،
 وعنبًا وقضبا، و زيتونا ونخلا . وحدائق غلبا، وفاكهة وأبا ،، (٨٢) .
 فقال : كلّ هذا عرفناه ، فما الأبّ ؟

ثم رفض عصا كانت فى يده فقال : هذا لعمر الله هو التكلّف ، فما
 عليك أن لاتدرى ما الأبّ .

اتبعوا ما بيّن لكم من هذا الكتاب فأعملوا عليه ، ومالم تعرفوه
 فكلوه الى ربه (٨٣) .

(٣) ليس فى قواعد اللغة ، ولا فى نصوص الكتاب والسنة ، ما
 يمكن الاعتماد عليه فى تفسير هذه الحروف ، ولذا فانا نرى أنّ آراء
 المفسرين لها تشعبت ، وأقوالهم فى ذلك تعددت، الى درجة أنّ بعض
 تلك التفسيرات لم تعدّ أن تكون محض دعوى ، أو سنوح خاطر ، أو
 انقذاح فكر ، أو نحو ذلك مما ورد على ذهن صاحبه ، وخطر بباله
 فقيده وقال به .

(٤) شدة الوعيد، وقوة التهديد ، مع الزجر الاكيد، عن الهجوم على
 كتاب الله تعالى ، وتفسيره بالرأى المجرد ، ففى الحديث عن النبى -
 صلى الله عليه وسلم - : ,,ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من
 النار ،، (٨٤) .

(٥) سدّ الباب أمام التأويلات الباطنية ، وايصاده بوجه المتقولين فى
 كتاب الله تعالى بالتشبهى ، وبما يوافق الأهواء ، ومنع المكثرين من
 التفسيرات الغريبة التى يولع بها العوام ، ممّا لايستند الى شرع ،
 ولايقرّه عقل .

كلمة لا بدّ منها :

ثمّ ليعلم أنّ القول : بأن هذه الفواتح الكريمة مما استأثر الله تعالى

بعلم معانيها والمراد بها لا يجزم معه بأن الله تبارك وتعالى لم يطلع على ذلك احدا من خلقه ، بل ان فضل الله ممدود، وعطاءه غير محدود،
 ,,يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ,, (٨٥) .

ولذا فانا لانستطيع أن نقول : ان الله تعالى لم يعلم رسوله - صلى الله عليه وسلم - بمعاني هذه الحروف ، (٨٦) بل نقول : ان من الجائز أن يطلع الله تعالى على ذلك غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأولياء والعارفين ، اذ ليس عندنا من الأدلة القطعية ما يمنع من ذلك .

ولكن قد تثار هنا اعتراضات، مفادها:

- (١) كيف يصح القول بأن الله - تبارك وتعالى - قد إختص بعلم معاني هذه الحروف ، ثم نقول : انه قد يطلع غيره على تلك المعاني ؟
 - (٢) القول بأن الله تعالى قد يطلع غيره على العلم بمراده من هذه الحروف ، يؤول إلى مايقوله الفريق الثاني من أن العلم بمعاني هذه الحروف مما يمكن ادراكه والوقوف على كنهه .
 - (٣) ما ذكر من سدّ الباب بوجه المتقولين في كتاب الله تعالى بغير علم ، لامعنى له ، بعد القول بأن الله تعالى قد يطلع من شاء من عباده على ما أراده من انزال هذه الحروف ، اذ سيّدعى كثيرون أن الله أطلعهم وألهمهم ، أو فتح عليهم بكذا وكذا.
- وفى دفع هذه الاعتراضات ، نقول :

- (١) أما عن الاعتراض الأول : فانه لامنافاة بين إختصاصه تعالى بمعرفة المراد من هذه الحروف المقطعة ، وبين اطلاعه من شاء من عباده على معرفة ذلك ، كما أنه لامنافاة بين إختصاصه تعالى بعلم الغيب ، وبين اطلاع من ارتضى من عباده على ماشاء من المغيبات ، لقوله تعالى : ,,عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من

ارتضى من رسول ، ، (٨٧) مع قوله تعالى : ،، قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله ، ، (٨٨) .

(٢) وأما عن الاعتراض الثانى :

فأنّ من قال : إنّ معانى هذه الحروف معلومة ، أراد العلم الاكتسابى الحاصل بالبحث والنظر ، ونحن نقول : انّ هذا من تعليم الله تعالى وإلهامه ، دون أن يكون هناك سبب ظاهر ، فهو كقوله تعالى : ،، وعلمناه من لدنا علما ، ، (٨٩) .

(٣) وأما عن الاعتراض الثالث :

فنقول : انّ هذا قد يصدق ، ولكنه يندفع بالقيود والشروط التى لابدّ منها لمن يدعى أنه من أهل ذلك .
ومن هذه الشروط اللازمة :

صلاح ذلك الشخص وتقواه ، وصدق متابعتة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، و أن لا يكون ما يأتى به من علم وفهم مصادما لنصوص الشريعة الغراء ، ولا معارضا لشيء من أصولها وقواعدها ، ولا فهما سقيما لا معنى له . وبهذا يتميّز ذووا الصدق والعرفان ، من أرباب الكذب والبهذيان ، وعلى كلّ فستضيّق دائرة الخوض فى معانى هذه الحروف الكريمة الى حدّما .

ملحق فى : اعراب هذه الحروف :

وتتمة للفائدة - لاسيّما لطلبة العلم - رأيت أن أضع هذا الملحق المختصر فى اعراب هذه الحروف الكريمة ، فأقول وبالله التوفيق :
يختلف الحكم حول هذه الحروف - من حيث الاعراب وعدمه - ، باختلاف آراء العلماء فى إمكان الوقوف على معانى هذه الحروف أو عدمه ، فمن ذهب إلى أنها من الأسرار المحجوبة ، والعلوم المستورة ، فلا محلّ لها من الاعراب - حينئذ - ، كما لا محلّ للجمل المبتدأة ،

وللمفردات المعدودة، لأنّ الاعراب فرع ادراك المعنى ولم ندركه ،
وغير مبنية - أيضا - لعدم موجب بنائها ، وغير مركبة مع عامل ، وعلى
هذا فهى آية مستقلة يوقف عليها وقفا تاما (٩٠) .

وهذا هو مذهب الخليل وسيبويه ، حكى ذلك النحاس فى اعراب
القرآن حيث قال :

مذهب الخليل وسيبويه فى ,, ألم,, وما أشبهها : أنها لم تعرب ،
لأنها بمنزلة حروف التهجى، فهى محكية ، ولو أعربت ذهب معنى
الحكاية ، وكان قد أعرب بعض الاسبم (٩١) .

ومن ذهب إلاّ أنها مما يمكن الوقوف على المراد منها، وأنها
أسماء للسور المبتدأة بها، أو أسماء للقرآن الكريم ، أو أنّ كل حرف
منها مفتاح إسم من أسماء الله تعالى - تقدست أسماؤه - ، أو غير ذلك
من المعانى التى يمكن التوصل إلى معرفتها : فلها محلّ من الاعراب
- حينئذ - ، والوجوه فى ذلك ثلاثة :

(١) فقيل : الرفع، على أنها خبر إبتداء مضمّر، أى : هذه ,, ألم,,
، - مثلا - ، كما تقول : هذه سورة البقرة .

أو أنها مبتدأ وما بعدها الخبر ، نحو : ألم ذلك ، كما تقول : زيد
ذلك الرجل ،

(٢) وقيل : النصب ، وفيه وجهان :

أحدهما : هو على تقدير حذف القسم ، كما تقول : الله لأفعلن ،

والناصب فعل محذوف ، تقديره ، التزمت الله ، أى : اليمين به .

والثانى : هى مفعول بها، تقديره : أتلى ألم ، أو : عليك ألم .

(٣) وقيل : الخفض .

وذلك على القسم ، لقول ابن عباس - رضى الله عنهما ، فى

بعض الروايات عنه - : انها أقسام أقسم الله بها .

وحرف القسم محذوف ، وبقي عمله بعد الحذف لأنه مراد ،
فهو كالمفوض به ، كما قالوا : الله ليفعلنّ في لغة من جرّ (٩٢) .
والله وحده المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

هو امش

- (١) انظر تفسير ابن كثير ٣٧/١ ، وانظر - أيضا - لباب التأويل ٢٧/١ ، والفتوحات الالهية ١٠/١ .
- (٢) انظر التفسير الكبير ١٣/٢ .
- (٣) انظر تفسير الطبري ٧٣/١ ، وقال بعضهم : لاشك ان هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عيشا ولا سدى ومن قال من الجهلة ان في القرآن ما هو تعبد لامعنى له بالكلية فقد أخطأ خطأ كبيرا ، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر ، فان صحّ لنا فيها عن المعصوم - صلى الله عليه وسلم - شيء قلنا به ، وإلا توقفنا وقلنا : ,,أما به كلّ من عند ربنا ,, انظر تفسير ابن كثير ٣٧/١ .
- (٤) وان كان هذه اللون من التفاسير لا يزال محلّ الدراسة والنظر ، وذلك لما قد يترتب عليه فيما لو تغيرت النظرية العلمية من اساءة في فهم كتاب الله تعالى .
- (٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٥٤/١ ، وزاد المسير ٢٠/١ ، ومجمع البيان ٣٢/١ وفيه يقول أبو علي الطبرسي الشيعي : وهذا هو المروي عن أئمتنا - عليهم السلام - .
- (٦) انظر التفسير الكبير ٣/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥٤/١ .
- (٧) لابن مسعود وللشعبى قول آخر سيأتي في ص ٨ .
- (٨) انظر التفسير الكبير ٣/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ١٥٤/١ ، معالم التنزيل ٢٦/١ ، ولباب التأويل ٢٦/١ ، الاتقان ٨/٢ - ٩ .
- (٩) والمشهور عنه أنه ممن يقول بتفسيرها كما سيأتي .
- (١٠) سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، آية : ٢٤ .
- (١١) سورة النساء ، آية : ٨٣ .
- (١٢) سورة يونس - عليه السلام - ، آية ٥٧ .
- (١٣) سورة المائدة ، آية : ١٥ .
- (١٤) سورة النساء ، آية : ١٧٤ .
- (١٥) هذا حديث صحيح ، أخرجه الامام مالك في الموطأ مرسلا بلفظ : بلغني أن رسول الله - صلعم - قال ... وذكره ، قال الزرقاني : انّ بلاغه صحيح كما قال ابن عيينة - وقد أخرجه ابن عبد البر من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده ١ هـ ، وقال في التجريد : هذا حديث محفوظ مشهور عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الاسناد ، وقد ذكرناه مسندا في كتاب التمهيد ١ هـ ، قال الشيخ محمد زكريا

فى أوجز المسالك : وذكر الحديث صاحب المشكاة عن مالك مرسلًا كما فى الموطأ . وأخرج الحاكم فى المستدرک بسنده الى ابن عباس - رضى الله عنهما - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطب الناس فى حجة الوداع فقال : قد يشس الشيطان أن يعبد بأرضكم - الحديث . وفيه : انى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وأخرج شاهداً له عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى قد تركت فيكم شيئين لى تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى . ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض . انظر أو جز المسالك الى موطأ مالك ١٤/١٠٠ للشيخ محمد زكريا الكاندهلوى ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرط . العاصمة بالقاهرة ص ٢٢١ ، باب : الحوض على لزوم السنة والانتصار لها . وأخرجه أبو داؤد فى كتاب المناسك - باب : صفة حجة النبى - صلى الله عليه وسلم - من حديث جابر - رضى الله عنه - برقم ١٩٠٥ ، بلفظ : وانى قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به : كتاب الله ٢/١٨٥ ، ويمثل لفظ أبى داؤد أخرجه ابن ماجة برقم ٣٠٧٤ ، نفس الكتاب والباب ١/١٠٢٥ ، وليس فيهما : سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم .

(١٦) انظر التفسير الكبير ٤/٢ - ٥ .

(١٧) الرمل - بالتحريك : الهرولة ، وهو الاسراع فى المشى مع هز المنكبين ، يقال : رمل يرمل رملا ورملا نا . وقد أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه - رضى الله عنهم - فى طوافهم فى عمرة القضاء ، ليرى المشركين قوتهم حيث قالوا : وهنتهم حمى يثرب ، وهو مسنون فى بعض الأطواف دون بعض . انظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٢٦٥ ، لسان العرب ١١/٢٩٥ . مادة : رمل .

(١٨) الاضطباع : مأخوذ من الضبع وهو العضد ، وهو أن يأخذ الازار أو البرد فيجعل وسطه تحت ابطه الأيمن ، ويلقى طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره ، وسمى بذلك لإبداء الضبعين ، ويقال للإبط الضبع للمجاورة ، انظر النهاية ٣/٣٧ ، اللسان ٨/٢١٦ ، مادة : ضبع .

(١٩) انظر التفسير الكبير ٥/٢ - ٦ ، لباب التأويل ٢٦/١ .

(٢٠) سورة آل عمران ، آية : ٧ .

(٢١) انظر المرجعين السابقين .

(٢٢) انظر الاتقان ١١/٢ ،

(٢٣) انظر التفسير الكبير ٦/٢ و ٩ ، ابن كثير ١/٣٦ ، ارشاد العقل السليم ١/٣٦ ، تفسير المنار ١٢٢/١ .

(٢٤) انظر تفسير الطبرى رقم ٢٣٢ ، تفسير سورة البقرة ، ١/٢٠٦ ، وفيه عبدالرحمن بن زيد ضعيف ، وبقية رجاله ثقات .

(٢٥) أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم ١٦ ، باب : ما يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة ٢/٣٢٢ . وأخرجه مسلم برقم ٨٨٠ فى كتاب الجمعة ، باب : ما يقرأ فى يوم الجمعة ٢ ٥٩٩ .

(٢٦) انظر تفسير الطبرى ١/٢١٧ ، والتفسير الكبير ٢/١٠٠ .

(٢٧) انظر ما فصله الامام الطبرى وهو يجيب عن الاعتراض المتقدم ١/٢١١ - ٢١٢ .

(٢٨) انظر التفسير الكبير ٢/١٠٠ .

- (٢٩) أخرجه ابن جرير برقم ٢٣٨ فى تفسير سورة البقرة ، ٢٠٧/١ . وابن أبى حاتم برقم ٤٣ ، ٢٧/١ .
واسناده ضعيف .
- (٣٠) انظر تفسير ابن جرير ٢٠٧/١ ، وابن أبى حاتم ٢٧/١ .
- (٣١) أخرجه ابن جرير برقم ٢٤٠ ، فى تفسير سورة البقرة ٢٠٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم عن
السدى موقوفا عليه برقم ٤٥ ، ٢٧/١ . وفى اسناده أسباط بن نصر والسدى - وفيهما كلام - .
- (٣٢) أخرجه ابن أبى حاتم برقم ١٨٥٦ ، فى تفسير سورة يونس - عليه السلام - ص ١٩ ، وابن جرير
برقم ٥٢٠ ، ١٧ ، ٩/١٥ - ١٠ .
- (٣٣) أخرجه ابن أبى حاتم برقم ٤٧ فى تفسير سورة البقرة ٢٨/١ ، واسناده حسن .
- (٣٤) أخرجه الحاكم فى كتاب التفسير - تفسير سورة مريم - عليها السلام - وقال : هذا حديث صحيح
الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ٢ / ٣٧ - ٣٧٢ .
- (٣٥) أخرجه الحاكم فى كتاب التفسير - تفسير سورة مريم - عليها السلام - وقال : هذا حديث صحيح
الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ٢ / ٣٧٢ .
- (٣٦) انظر الجامع لاحكام القرآن ١٥٥/١ ، ولباب التأويل ٢٦/١ .
- (٣٧) الايجاف : سرعة السير ، يقال : أوجف الدابة يوجفها ايجافا ذا حنفا - النهاية ١٥٧/٥ مادة :
وجف .
- (٣٨) شرح شواهد الشافية ص ٢٦٧ ، عال : دعاء عليه من قولهم : عال عوله أى شكته أمه ، فأختصر :
نقلا عن هامش الطبرى رقم (١) .
- (٣٩) انظر الكامل ٢٤٠/١ .
- (٤٠) انظر : تفسير الطبرى ٢١٢/١ - ٢١٤ .
- (٤١) انظر : سيرة ابن هشام ١٩٤/٢ - ١٩٥ ، والاتقان ١٠/٢ ، الدر المنثور ٢٢/١ ، فتح القدير
٢٠/١ وضعفاه ، وأخرجه - أيضا - ابن جرير الطبرى فى تفسيره برقم ٢٤٦ ، من طريق سلمة بن
الفضل عن محمد بن اسحاق به ٢١٦/١ - ٢١٨ - واللفظ له - وقد روى هذا الحديث بأسانيد
أخر كلها ضعيف مضطرب - كما يقول محقق الطبرى - انظر تعليق رقم (١) ، ٢١٦ - ٢١٨ .
- (٤٢) انظر ترجمة الكلبي فى الجرح والتعديل ٢٧٠/٧ - ٢٧١ ، ميزان الاعتدال ٣ / ٥٥٦ - ٥٥٩ ،
تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ - ١٨١ ، التقريب ١٦٣/٢ .
- (٤٣) انظر تفسير ابن كثير ٦٩/١ - ٧٠ .
- (٤٤) انظر الاتقان ١١/٢ .
- (٤٥) أخرجه ابن أبى حاتم برقم ٤٩ فى تفسير سورة البقرة ٢٨/١ - وقد علمت مافيه - ، وأخرجه ابن
جرير موقوفا على الربيع بن أنس برقم ٢٤٣ وزاد : وقال عيسى بن مريم : وعجيب ينطقون
فى أسمائه ، ويعيشون فى رزقه ، كيف يكفرون ؟ قال : الألف مفتاح اسمه : الله ، واللام مفتاح
اسمه : لطيف ، والميم مفتاح اسمه : مجيد ، الألف : آلاء الله . واللام : لطفه . والميم : مجده .
الالف : سنة ، واللام : ثلاثون سنة ، والميم : أربعون سنة ٢٠٨/١ ، وذكره ابن كثير ٥٧/١ ،
والسيوطى فى الدار المنثور ٢٣/١ .
- (٤٦) انظر زاد المسير ٢١/١ ، التفسير الكبير ٧/٢ ، ولباب التأويل ٢٦/١ ، وابن كثير ٣٨/١ ، الاتقان
١١/٢ ، فى ظلال القرآن ٣٨/١ .

- (٤٧) انظر الكشاف ٢٧/١ - ٢٨ .
- (٤٨) سورة البقرة ، الآيتين ١ و ٢ .
- (٤٩) سورة آل عمران ، الآيات ١-٣ .
- (٥٠) سورة الاعراف ، الآيتين ١ و ٢ .
- (٥١) سورة يونس ، آية ١
- (٥٢) سورة هود ، آية ١ .
- (٥٣) انظر تفسير المنار ٢٩٦/٨ - ٢٩٨ .
- (٥٤) انظر فتح القدير ، ٣٠/١ .
- (٥٥) سورة فصلت ، آية : ٢٦ .
- (٥٦) انظر تفسير الطبري ٢١٠/١ ، التفسير الكبير ٧/٢ ، لباب التأويل ٢٦/١ ، الاتقان ١١/٢ .
- (٥٧) انظر تفسير المنار ٢٩٩/٨ .
- (٥٨) انظر مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٥ .
- (٥٩) الخويبي - بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء - : هو الفقيه أحمد بن خليل بن سعادة ، صاحب الامام فخر الدين الرازي - رحمهما الله تعالى - توفي سنة ٦٣٧ هـ . انظر شذرات الذهب ١٨٣/٥ ، وفي الاتقان للسيوطي : الخويبي - بالياء والباء - ولم أقف عليه ، والظاهر أنه خطأ مطبعي - والله أعلم - .
- (٦٠) انظر الاتقان ١١/٢ .
- (٦١) المصدر السابق .
- (٦٢) انظر تفسير ابن كثير ٣٧/١ - ٣٨ .
- (٦٣) انظر مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٥ هامش رقم ٣
- (٦٤) سورة الشعراء ، الايات : ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ .
- (٦٥) بعد أن كتبت هذا الكلام في أستبعاد ما ذهب اليه الامام الخويبي وتضعيفه ، وجدت أن السيد رشيد رضا - رحمه الله - صاحب تفسير المنار يستبعد ذلك - أيضا - ، لأنه - عليه الصلاة والسلام - كان يتنبه وتغلب الروحانية على طبعه الشريف بمجرد نزول الروح الأمين عليه ودنوه منه ، كما يعلم مما ورد في نزول الوحي من الأحاديث الصحيحة ، قال : ولا يظهر فيه وجه تخصيص بعض السور بالتنبيه - انظر تفسير المنار ٣٠٣/٨ .
- (٦٦) سورة النجم ، آية : ٤ .
- (٦٧) انظر التفسير الكبير ٨/٢ ، تفسير الجواهر ٧/٢ .
- (٦٨) انظر تفسير الجواهر ٧/٢ .
- (٦٩) انظر ما ذكره الامام السيوطي في الاتقان ١٨٤/٢ فصل : وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير .
- (٧٠) انظر روح المعاني ، ١٠٤/١ ، وتفسير الصافي ٨٧/١ .
- (٧١) انظر التفسير الكبير ٨/٢ .
- (٧٢) سورة الواقعة ، آية : ٧٩ .
- (٧٣) انظر مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

- ٧٤ إشارة الى قوله تعالى : ,,وجد عليه أمة من الناس يسقون : « سورة القصص ، آية : ٢٣ .
- ٧٥ إشارة الى قوله تعالى : ,,وقال الذى نجامنهما واذكر بعد أمة « سورة يوسف ، آية : ٥٤ .
- ٧٦ إشارة الى قوله تعالى : ,,ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين « سورة النحل ، آية : ١٢٠ .
- ٧٧ إشارة الى قوله تعالى : ,,انا وجدنا آباءنا على أمة « سورة الزخرف ، آية : ٢٣ . وقوله تعالى : ,,ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت « ، سورة النحل ، آية : ٣٦ .
- ٧٨ انظر تفسير الطبرى ٢٢١/١ و ٢٢٢ .
- ٧٩ انظر : تفسير ابن جرير ٢٢٢/١ .
- ٨٠ انظر : التفسير الكبير ١١/٢ .
- ٨١ انظر : فتح القدير ٣٠/١ .
- ٨٢ سورة عبس ، الآيات ٢٧ - ٣١ .
- ٨٣ أخرجه ابن سعد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب ، والخطيب عن أنس - رضى الله عنه - كما فى فتح القدير ٣٨٧/٥ .
- ٨٤ رواه الترمذى من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - وقال : هذا حديث حسن صحيح ١٤٦/٨ ، وصححه - ايضا - الاستاذ أحمد شاكر كما فى تفسير الطبرى ٧٧/١ - ٧٨ ، وانظر مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠٥ ، فصل : تفسير القرآن بالرأى .
- ٨٥ سورة آل عمران ، آية : ٧٤
- ٨٦ ومن ذهب الى ذلك الشيخ القاضى محمد ثناء الله المظهرى - رحمه الله تعالى - حيث ذكر فى تفسيره: أن القول بعدم فهم النبى - صلى الله عليه وسلم - لمعانى هذه الحروف بعيدا جدا ، لأنه يلزم الخلف فى الوعد بقوله تعالى : ,,ثم ان علينا بيانه « ، فانه يقتضى أن بيان القرآن محكمة ومتشابهة من الله تعالى للنبى - صلى الله عليه وسلم - واجب ضرورى - انظر التفسير المظهرى ١٤/١ .
- ٨٧ سورة الجن ، الآيتين : ٢٦ و ٢٧ .
- ٨٨ سورة النمل ، آية : ٦٥ .
- ٨٩ سورة الكهف ، آية : ٦٥ .
- ٩٠ انظر التفسير الكبير ١٣/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/١ ، ١٥٧ ، الفتوحات الالهية ١٠/١ .
- ٩١ انظر اعراب القرآن ١٢٧/١ .
- ٩٢ انظر المراجع السابقة ، وانظر - أيضا - : املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن ١٠/١ .